المحور العاشر

وظائف السرد وأهدافه

س1: ما هي الوظائف المركزية التي تعتقد أن سردياتك يجب أن تؤديها؟ وهل تتقصّد تلازم سردياتك مع هذه الوظائف؟

ج1: من دون تقصّد لأيّ معنى إنّ الكتابة عندي هي نتاج نهج حياة كاملة جمالياً وفكرياً وموقفاً، الوظيفة الأ□اس التي تؤديها □رد□اتي هي إخراج صوتي إلى العلن بالكفاءة التي أتمناها، فأنا أكره الصمت المغلف بكثرة الكلام، لا أقدر أن أف□ر العالم مهما كتبت لأنني أحاول أن أعرفه بما أكتبه وأحلم بأن أغيره، أؤمن بقيم العدالة والحرية والجمال وهذه هي إيمانيات □رد□اتي بلا شكّ.

س2: إنّ وظيفة السرد الأساسية منذ الأزل هي الإمتاع فقط، هل تقرّ بهذه الوظيفة السردية المركزية وتكتفي بها أحياناً، أم أنّه لا بدّ لك من أن تحمّل سردياتك غاية ما؟

ج2: أنا مع ضرورة الإمتاع والجمال في ال□رد حتى نقدر أن ندق على أبواب العقول الإ□انية، إلا أنّ المنفعة هي الضرورة الهدف التي يجب أن نعمل على تحقيقها، إنّ حالة الإمتاع حالة مؤقتة وطارئة وعابرة، لكن المعرفة هي حالة الثبات المتطور فما نتعلمه لا يقف عند حدود علمه بل يفتح آفاقاً أخرى لنا للمعرفة وللفهم وللتطور، لا بديل عن اجتماع هذا الثنائي لت□هيل مهمة الوصول إلى الأخر.

س3: بماذا تختلف وظيفة القصة القصيرة وأهدافها عن وظيفة الرواية؟ وهل تعتقد أنك نجحت على صعيد استجابة قرّائك في توصيل ذلك كما ترغب؟

ج3: القصة القصيرة عالم صغير محنك ودافئ لكنه ليس العالم، الرواية هي العالم بدفئه وبرده، لذلك من الأي□ر على الكاتب والقارئ أن يقرأ كلّ منهما العالم ويعرفاه كما هو وعلى حقيقته، ما حققته في عوالمي في الرواية لا بد وأنه قد ترك أثراً مما أريد أن أوصله، لا أشكّ في أنّ الموضوعات التي أكتبها ت□تفز القارئ وتدفعه نحو أخذ موقف غير محايد، وليس من الضروري أن يكون هذا الموقف إلى جانبي أم ضدي، المهم أنه قد أخذ موقفاً.

س4: ما الذي تعتقده وسيلة مهمة للانتشار في أوساط القرّاء من مختلف الشرائح، الأسلوب السرديّ الجماهيريّ؟ أم الموضوع السرديّ المثير؟ أم الأهداف والوظائف (على اختلاف أنواعها)؟

ج4: الكتابة عن الناس هي الحالة الأقرب لشدّهم نحو القراءة، إن البشر كلهم ي□كن فيهم كاتب أو شاعر لكنهم لا يملكون الجرأة للكتابة والمواجهة، وإن ملكوا

الجرأة فهم لا يملكون الأدوات التي تدفعهم للكتابة، هؤلاء البشر عندما يكُتب عنهم يجدون المتنفس الذي يخرج من صدورهم ما تضيق به، الكتابة عنهم لن تتحقق وتصل إلى مـامعهم وإلى أيديهم إلا بأـلوب الـردي الناجح.

س5: هل لك هدف معيّن يقتضي منك تحميل نصوصك قضية ما تقلقك وتؤرّقك؟ وهل تغيّر هذا الهدف/الأهداف في سياق تجربتك التي عمرها أربعة عقود؟

ج5: إنّ التغيّر مفهوم حضاريّ ونحن في مجتمعاتنا نسير عكس الحضارة، لم يتغير عندي شيء منذ أن بدأت الكتابة غير الشكل والعبارة، فما كان يقلقني منذ أربعة عقود لـوء الحظ ما زال هو قلقي، فحالة التخلف والاـتعباد التي نعيش فيها لا زالت كما هي، بل وللأـف زادت ـوءاً ووقاحة، كنت أكتب عن الفـاد وكبت الحريات والاـتغلال الطبقي ولا زلت أكتب عنها ذاتها، ولا زلت أفعل، لم تتغير مفاهيمنا ولم تتطور ثقافاتنا بل تغيرت صورها وأشكالها ولا زلت ألهث في كتابتي، أجري وراء الزمن الضائع أملاً في أن أقدر على التقاط نُتف منه **كي أضعها موضع التنفيذ السرديّ.**

س6: هل تتقصّد تعبئة نصوصك بقضية أو قضايا محددة تشتغل عليها مسبقاً، أم أنك تترك ذلك للحياة الداخلية للنصوص هي التي تصنع قضاياها كما تشاء؟ وهل بوسع النصوص وحدها أن تفعل ذلك؟

ج6: لا يمكن إلا أن أتقصد بعث القضية التي أريد أن أكتبها، من مجمل معايشاتي أُشكل المحور القضية مثلما تـميها ومنها آخذ بيد الـارد لصياغة هذه القضية، الآلية التي تـير بها هذه القضية تُحكم بتشكيلها للشخوص والأحداث ولمجريات حياتهم الداخلية، النصوص لا تأتي من عدم الكاتب بل من جوهره وذاته، لذا فهي تظلّ ـاكنة بانتظار القضية التي يصنعها هذا الكاتب حتى تبرز وتبدأ في بعث نفـها في العمل، لا أدري إن كنت أشكل موضوعاً خاصاً مختلفاً عن غيري من الكتاب لكن الحقيقة أنّ النصّ عندي يتشكّل ويتحرّك بأرادته وليس بإرادتي، لذلك أجدني على اختلاف مع الكثير من شخصياتي وحياتهم وطرق تفكيرهم.

س7: المؤلف يبعد مسافة عن الراوي، والراوي يبعد مسافة أخرى عن شخصياته، هل بوسعك أن تحدّد لي المسافة بينك وبين راويك، والمسافة بين روايك وشخصياتك؟ وهل الأمر هذا يختلف بين قصة وأخرى، ورواية وأخرى؟

ج7: هي ذات الحالة في كل ما أكتبه لا أتقصد الابتعاد عن الوارد ولا عن شخصياته لكني أُدفع دفعاً إلى هذا الابتعاد، المسألة عندي أنني عندما أعود إلى قراءة ما كتبت أجد أنني أقرأ أناساً وكائنات لم أكن قد عرفتها من قبل حتى اعتادها وتصير مألوفة لي، ثم عندما أدفعهم كلهم للنشر أعود وأقرأهم فأتعرف عليهم مرة أخرى، وأحدد موقفي منهم أحبهم أو أبغضهم من دون قرار أو موقف مُسبق، لذلك أراني أُدهش من بعض القراءات والدراسات التي تتناول عمل ما لي وأجد أن الناقد أو الباحث يعرف شخصياتي أكثر مني، تفرحني هذه الدهشة، لذلك فأنا كاتب لا يخشى النقد فكل ما يُكتب لي عن عمل لي إن كان مكتوب بعلمية وموضوعية يفرحني، بذات القدر الذي يفرحني ما يُكتب عن إيجابية العمل لأنه يؤكد على أنني قد كنت طرفاً محايداً في كتابة هذا النص، ينطبق هذا على كل رواياتي ولكن لا أعتقد أنه كذلك في قصصي.

س8: الإيديولوجيا، المجتمع، الذات، هذه مصادر معروفة تغذّي الكاتب بالكثير من القضايا والأهداف والغايات والموضوعات والمشكلات، كيف تصنّف مستوى حضور كلّ منها في سردياتك القصصية والروائية؟

ج8: الذات هي مركز وانتشار كل ما عشته أيدولوجياً ومجتمعياً، منهما تشكلت هذه الذات لا أستطيع أن أفصلهما عن بعض ولا أقدر أن أحاور كل واحدة منهما على انفراد ذاتي، هي ثالوث ذاتيتي وأيدولوجيتي وتشكّلي الاجتماعي، لذلك هي كلها حاضرة في سردياتي لا يمكن أن تُفتّت هذه السردية إلى جزيئات صغيرة ثم تعيد تصنيفها وتجميعها لتخرج ما هو أكثر حضوراً وتأثيراً في العمل من هذا الثالوث، قد يبرز واحد من هذا الثالوث أحياناً ويغطي الصورة لكن ذلك يكون مرحلياً ومؤقتاً ولا يكون موزعاً بين هذه المفردات كلها بتساوي بل بعدالة، هو ما نشأت عليه وما ثقفته وما أملكه من إيمانات في تفسير هذا العالم الذي أنا فيه وهذه الحياة.

س9: هل تشعر بأنك أنجزت الكثير مما كنت تريد أن تقوله في سردياتك؟ أم أنه مازال لديك الكثير لتقوله؟ أم أنك لا تفكر في هذا الأمر لأنّ القصص والروايات تلد في مخيالك السرديّ من دون تحضيرات مسبقة ترتبط بتخطيط مسبق؟

ج9: حتى اللحظة لمّا أبدأ بعد، لقد تفوهت ببعض العبارات والأفكار لكنني لم أشد قدمي على الأرض التي أريد مثلما أشتهي، ولم أصرخ بأعلى الصوت، في الرأس كلام كثير وحكايا كثيرة ما زالت في جيبي، هي مسألة مصارعة العمر إن استطعت أن أمكث أكثر فوق هذه الأرض فوف أقول الكثير وحتى أغادرها سأظل

أقول، هذا الزمان العربي الغريب يُنطق الأخرس فكيف بمن له لسان طويل مثلي، الأفكار الصغيرة تولد عندما يحين موعدها لتصير رواية، والأفكار الصغيرة كثيرة وملقاة في شوارعنا وفي بيوتنا وفي صدور وعيون من نعرفهم ومن نحبهم ومن لا نحبهم. لا شيء يأتي في الحياة من دون تخطيط مسبق، فإما أن نكون نحن من نخطط لما يكون أو المصادفة والظروف.

س10: في الختام أين تضع نفسك قياساً بكتّاب جيلك، أقصد في أيّة طبقة لو أننا استعرنا طبقات ابن سلّام في الشعر؟ الطبقة الأولى أم الثانية أم الثالثة، عربياً وأردنياً؟

ج10: أدباً أسأل هل يجوز لي أن أقيّم نفسي؟ إن كان الأمر كذلك فلا بأس أن أوضح قبل أن أحطّ مثل طائر أعزل فوق ميزان إبن سلام، إنني لا أرى بأنّ معايير تقييم الكتاب في الأردن وفي العالم العربي تحتوي على الحدّ الأدنى من الموضوعية، وثانياً إن الكارثة التي تشلّ الإبداع في هذا العالم العربي تتمثّل في أنّ الحكومات والأنظمة والنقاد هي من يقيّم الآن جودة الأعمال الإبداعية، عندنا في الأردن يعاني الكاتب الملتزم فضلاً عن الفقر فإنه يعاني من التهميش، هذا موضوع اعتدنا عليه في الماضي وقبلناه على الرغم من أنوفنا، لكن الكارثة أضحت الآن بأن أدباء السلطة وكتابها هم من صاروا يتبوؤن مواقع السيادة في وظائفهم الحكومية مثلما هم في الساحة الأدب، إنّ إعلان الولاء للحكومة يعني وضع كل الإعلام في خدمة هذا الكاتب، ليس تصغيراً من شأن أحد لكن ما يراه المتتبع للأدب في الأردن يرى أن من يحصلون على الحصة الأكبر من النشر والإعلان هم هذه الفئة.

كاتب السلطة مستريح من عناء البحث عن ناشر وممول وموزّع ومعلن، والكاتب الملتزم مشغول في كل ذلك، كلنا في الأردن نعرف أنّ مئات الأعمال الإبداعية الجيدة وُئدت مقابل إحياء أعمال هابطة لهؤلاء. إنّ وصولنا إلى النشر في ملحق ثقافي لا يقرأه سوى كتابه يحتاج إلى عمل صداقات لا عدّ لها، ومسألة أن يشارك شاعر أو كاتب في مهرجان ثقافي تموله الدولة هذه معجزة، عشرات المثقفين في الأردن يرون ذلك حتى أولئك الذين صلتهم خجلة مع السلطة، يكتبون عن هذه الظاهرة ويتساءلون عن أسماء يتم معون بها للمرة الأولى وقد رأوا أنها كانت نجوماً من نجوم مهرجانات الأدب، المهم أنّ كلّ هذا لا يعنيني، فبحدود ما ملكت يداي استطعت أن أُثبت أقدامي في الوسط الأدبي محلياً وعربياً، وفي تصوري أن طموحي لنوبل ليس حاضراً لكنه محتمل.

فمع احترامي لـ"لّم ابن "لّام فأنا في المقدمة مع روائيي العالم العربي المهمشين الذين صاغهم إبداعهم ولم تصنعهم أنظمتهم.